النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٥٠ / ١٩٩٩
الأحد ١٢ كانون الأول

أحد الأجداد

تذكار أبينا الجليل في القديسين

اسبيريدون العجائبي أسقف

مدينة تريميثوس في جزيرة قبرص

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر السادس

الـــرســـالـــة (أفسس ٥: ٨-١٩)

الإنـــجـــيـــل (لوقا ١٤ : ١٦ - ٢٤)

+ أحد الأجداد

"أيها المؤمنون، إذ نُقيم اليوم تذكار الأجداد فلنسبِّح بإيمان المسيحَ المنقذَ الذي عظّمـــهم في جميع الأمم، الربَّ الصانعَ العجائب المستغربة بما انه عزيز وقدير، المُظهرَ لنا منهم عصا قوة، هي مريم فتاة الله النقيَّة التي هي وحدها لم تعرف رجلاً، ومنها ورد المســـيح الزهـــرة، مفرعاً للجميع الحياة والنعيم الذي لا يزول والخلاص الأبدي " (صلاة غروب أحد الأجداد).

لقد بدأنا منذ أسابيع قليلة الاستعداد لاستقبال ميلاد الرب بالجسد. واليوم، قبل أحديـــن من ورود العيد، وفي إطار التهيئة، رتّب آباء الكنيسة أن نُقيم "لأجل اقتراب عيد ميلاد ربنـــا يسوع المسيح، تذكارَ أجداده بالجسد الذين كانوا قبل الشريعة وفـــي الشـــريعة". لقـــد ســـبقوا

فأخبروا بمجيء المسيّا (المسيح) المخلّص، وافتُدوا بفصحه الخلاصي: " إن الأنبياء الإلـــهيين بني ابراهيم ، قد أصبحوا كلّيي الحكمة، إذ سبقوا فأخبروا بالروح بحرارة، عن الكلمة مولـوداً من ابرهيم ويهوذا، فبتوسلاتهم إرأف يا يسوع بجميعنا" (صلاة سحر أحد الأجداد). لهذا نجـد انه باتداء من أول كانون الأول تتوالى أعياد الأنبياء، وهذا بحسب ترتيب مقصود من الكنيسة. فهو ناقلو الوعد بقدوم المخلّص: " ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمـــانوئيل الـذي تفسيره الله معنا" (اشعياء ١٤:٧). وبما انهم هيّأوا الطريق لمجيئه، فمن اللائق جداً أن نذكرهم قبل عيد الميلاد مباشرة كمساهمين في عمل الله الخلاصي.

نعيِّد في هذا اليوم لكل أجداد المسيح، المرتبطين به بالجسد، الذين من نسـلهم تجسّـد الإله. هؤلاء الذين آمنوا بالله وخدموه وشهدوا له بحياتهم وأقوالهم، ومنهم من مـــات لأجـل إيمانه. نعيِّد لأجداد المسيح من آدم حتى يوحنا المعمدان: " هلّموا يا محبّـــي الأعيـاد لنمـدح بالترتيل محفل الأجداد: آدم الأب الأول وأخنوج ونـــوح وملكيصـادق وإبراهيـم وإسـحق ويعقوب، ثم الذين بعد الشريعة: موسى وهرون ويشوع وصموئيل، ومعهم أشعياء وإرميـــاء وحزقيال ودانيال والأنبياء الإثني عشر وأليشع،والجميع كافة وزخريـا والمعمـدان، والذيـن كرزوا بالمسيح حياة جنسنا وقيامته" (صلاة غروب العيد). وطبعاً لا تنسى الليتورجيـا تلـك النسوة الفاضلات اللواتي لعبن دوراً مهماً في تحقيق خلاصنا: " يا رب ان البنات قديماً، قـد صنعن بقدرتك قوات، أعني حنة ويهوديت ودبورة ويائيل واستير وسارة ومريم أخت موسـى وراحيل ورفقة وراعوث السامية العزم" (صلاة سحر العيد). نتذكر في هذا اليوم كل الصدِّيقين في العهد القديم، رجالاً ونساء، عبرانيين وغير عبرانيين، الذين وجدوا الحياة في الله، والذيـن تقول عنهم رسالة اليوم، وكما تؤمن الكنيسة، انهم سوف يظهرون " معه في المجـد" متـى " أُظهر المسيح حياتنا (كو ٤:٣).

إن المسيح هو محور حياة الآباء والأمهات القدماء، كما هو محور حياة كل قدّيســي الله. من أجله يحيا شعب الله القدوس، من أجل الإله الحيّ وكلمته. هدف حياتهم تسـبيح الله، لا بالكلام فقط بل بالنيات والأعمال والحياة. أن تحيا بالنسبة إليهم يعني أن تتمّ مشيئته، " طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأُتمِّم علمه" (يو ٣٤:٤). فرحك هو بالرب وهو ينيرك، " بـــه تفرح قلوبنا لأننا على اسمه القدوس اتّكنا" (مز ٢١:٣٣)، و"نظروا إليه واستناروا ووجوهـهم لم تخجل " (مز ٥:٣٤)

فيما نحن نتهيّا اليوم لاستقبال الميلاد نتعلّم من أجداد المسيح أن الحياة هي المســيح، الإله المتجسّد، لأنه أعطانا الخلاص واستعاد حياتنا التي كان الشرير مسـيطراً عليـها. لقـد عاشوا طيلة حياتهم وهم ينتظرون مجيء المخلّص وكانوا يبشّرون الجميع بمجيئه وتمنّوا لـو

انهم رأوا اليوم وُلِدَ فيه، لكنهم هيّأوا الطريق لمجيء المخلّص: " ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبنّي" (غلا ٤:٤و٥). لقد " آمن ابرهيم بالله فحُسِب له بِرًّا" (غلا٦:٣) و"الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو ابرهيم " (غلا ٧:٣)، والله " بشَّر ابراهيم ان فيك تتبارك جميع الأمم. إذاً الذين هم من الإيمان يتباركون مع ابرهيم المؤمن" (غلا ٣:٨و٩). فإن كنا نحن اليوم على إيمان ابرهيم وننتظر ولادة المخلّص في قلوبنا ونثق به، أي نؤمن بالله، فنحن من نسل ابرهيم ونتبارك معه وننال المواعيد، مواعيد الخلاص.

في هذه الذكرى اليوم، ذكرى أجداد المسيح، نختصر بالإيمان ألوف، بل ملايين السنين. صلوات اليوم تكرّم الأشخاص الذين عاشوا خلال هذه السنين والذين عبرهم عمل الله ليهيّء لنا الخلاص. لقد آمنوا بالله وتحققت وعود الله لهم بميلاد الرب. إيمانهم هو إيماننا، والمسيح الذي نتبّاوا به هو مسيحنا ومخلّصنا ، لذلك نرتّل:" لقد زكّيت بالإيمان الآباء القدماء، وبهم سبقت فخطبت البيعة التي من الأمم، فليفتخر القدّيسون بالمجد، لأن مِنْ زرعهم أينع ثمرٌ حسيب، وهو التي ولدتك بغير زرع. فبتوسّلاتهم أيها المسيح الإله خلِّص نفوسنا" (طروبارية العيد).

+ تذكار البار بورفيريوس الرائي

لمناسبة ذكرى أبينا البار بورفيريوس الرائي، ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس، صباح الخميس ٢ كانون الأول، خدمة القداس الإلهي في كنيسة أبوينا البارين انطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي في دار المطرانية. وقد ألقى خلال القداس العظة التالية:

" ثم تكلّم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوقُ وما في الأرض من تحتُ وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهنَّ ولا تعبدهنَّ لأني أنا، الربَّ إلهك، إلهٌ غيورٌ، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ،وأصنع إحساناً الى ألوف من محبيّي وحافظي وصاياي. أنا الرب ألهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" (خروج٢٠: ١-٦)

اليوم نعيِّد للأب البار بورفيريوس الرائي، هذا القديس الذي وضع نصب عينيه منذ الطفولية أن يسوع هو الكل في الكل، ولا شيء موجود إلا فيه. في البدء كان الكلمة والكلمة كان كل شيء. كل شيء هو بسبب يسوع. وكان يردّد في كل حين ان يسوع هو محور

حياته، هو الكل. هذا الكلام يطابق الوصية الأولى من الوصايا العشر التي قرأتها عليكم والتي يقول فيها الرب لشعبه أنا هو الرب إلهك لا تعبد إليهاً غيري، والمقصود ليس المنحوت ولا المرسوم ولا التمثال بل كل أمر نعتبره أعظم من الله، أو كل أمر يُشغِلنا عن الله. لأنن إن كنت أحب الله وكان الله قصدي وهدفي وحبي وعشقي، فكل شيء يشغلني عنه يكون أفضل ممن أعشق. فكرك، رأيك هيئتك، بيتك، عائلتك، أرضك علمك، اهتماماتك، كل هذه قد تكون آلهة. نقول في القداس " لنضع عنا كل الاهتمامات الدنيوية". الاهتمامات الدنيوية لكها مهمة إذا كانت تؤدي الى الله او كانت بأمر الله، وإذا انشغلنا بأي أمرٍ آخر، ولو كنا نتفوّه باسم الله، نكون من عبدة الأوثان، أي نعبد آلهة أخرى تلهينا عن الأعظم، والإنسان بطبيعته يتجه نحو المهم، والمهم هو مصلحته، فإن لم يجد مصلحته في الله، أي في خلاصه، في خلاص نفسه، يظن أن خلاصه هو في أي أمرٍ آخر، لذا يتجه نحوه.

الأب بورفيريوس تعلّم أن يسوع هو كل شيء وعرف ان كل شيء منه، وبتواضع عميق كان يقول لمن يسأله أمراً: أنت متعلّم وأنا أمّي، ولكني بنعمة الله أتكلّم معك، وبما أنعم الله عليّ أعطيك، وكان يقصد ما يقول لأنه كان يرعى الغنم منذ الطفولية، لم يدخل المدرسة ولم يتعلّم القراءة والكتابة، لكنه تدّرب على قراءة الكتاب المقدس وقد دخل الدير في الثالثة عشرة من عمره والتصق بالرب منذ الطفولية وكان يردّد باستمرار أني أحب الله في يسوع، أحبه حباً جمًّا. وقد أحبّ الجميع لأنه عرف هذه المحبة الرحومة، الرؤوفة، التي لا تدين، وكان يعلّم ان يسوع لا يحمل لنا جحيماً ولا حزناً او انغلاقاً بل يحمل فرحاً يقوم على كل حزن ويأس، وعلى كل انغلاق وتعبٍ ومرضٍ وعلى كل ما يضيّق نفوسنا والقلوب. كان يعرف أنه، متى التجأ الى يسوع لا يجد سوى المحبة التي تشفي وتُنمي، المحبة التي تحتضن وتستر الخطايا الجمَّة. لم يرَ فيه رباً قاسياً أو قاضياً، وكان يعرف أن خطايانا هي التي تديننا وأن الله لا يدين أحداً. ثقل الخطيئة فينا هو الذي يحزننا ويعذّبنا وهو الذي يدخلنا الجحيم، ولذا كان يعيش بفرح وسلامٍ عميقين وكان متيقناً ان المحبةً التي اكتسبها من يسوع لا تسكن القلوب المتكبرة. المحبة لا تستقرَ ولا تستريح في قلب متكبّر. في إنجيل سحر الأبرار يقول الرب الإله " تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم " (متى ١١:٢٨)، وعلى تلميذ الربّ أن يدعو بدوره المثقلين والمتعّبين وأن يريحهم. هذه دينونتنا جميعاً ودينونة كل إنسان يحمل كلمة الربّ. علينا أن تدعو الجميع – كما دعاهم سيّدنا– قائلين: " تعالوا إليَّ ياجميع المتعبين لأن أحمل المسيح وهو يريحكم". وان لم نستطع علينا ان نتوب وأن نصوم ونصلّي.

لقد قال لنا المسيح " احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني لأني وديعٌ ومتواضع القلب فتجدوا راحةٌ لنفوسكم " (متى ١١: ٢٩-٣٠). لا أحد، حتى المتجبّرين والمتكبّرين، يرتاح مع إنسان متكبّر، وقد يحصل صدام بينهما، أما الوديع فمُحِبّ ومحبوب.

المحبة لا تسكن إلا في المتواضعين والودعاء. يقول الأب بورفيريوس لاتستطيع أن تحب إذا كنت متكبراً، والإنسان لا يرتاح مع المتكبّر لأن الكبرياء لا تظهر بالأعمال فقط بل يعبّر عنها الوجه أيضاً، أما الوداعة فتبث نوراً. الوديع يضعّ نوراً أما المتكبّر فلا ترى إلا الظلمة والتقطيب في وجهه.

الأب بورفيريوس كان مثال التواضع والوداعة. عارفوه يشهدون بذلك. كثيرون كانوا يقصدونه للإسترشاد بأرائه، وكان يعزي القلب الحزين أو المتألم أو التائب بقوله: أنا ايضاً خاطىءٌ، لكني سأسعى الى مساعدتك بكلام أهداني أياه الله. وفي رسالته الأخيرة، قبل أن ينتقل، يقول انه أخطأ الخطأة.

ما أبعدنا عن قداسة القدّيسين. إذا حفظنا آيتين نتجبّر ونتكبّر ونقف على المنابر ندين الناس ونحكم عليهم باسم الإنجيل. الإنجيل ليس دينونة، انه الخبر السار، والبشارة السارة. أما مّن يدين الناس ويُحكم عوض أن يروا إشعاع الفرح في وجهه وكلامه فلا يأتي بالمسيح وليس من المسيح.

في هذا العيد أودّ أن أشدد على بعض الأمور:

يجب أن لا يمنعنا شيءٌ عن المسيح، لا أهلٌ ولا مركز أو مصلحة أو أملاك. لقد قال لنا: " مَن أحبَّ أباً أو أمًا أكثر مني فلا يستحقني" (متى ١٠: ٣٧). هذا يعني انني أعرف الآخرين بالمسيح، أعرف أبي وأمي وأختي وجيراني وأصحابي من خلال علاقتي بالمسيح، ومَن لا يعرف المسيح تكون محبته أنانية، ناقصة وغير كاملة. المسيح هو الذي يعلّمنا المحبة ويهدينا الى الطريق المستقيم. ومحبّو المسيح لا شيء يُبعِدهم عنه، ولا شيء يمنعهم من الاجتماع به في كنيسته، إلا إذا كان ما يقومون به عملاً يشبه الصلاة كمثل ما قام به السامري الشفوق عندما أنجد جريحاً أهمله الآخرون. فإذا أردتم أن تكونوا كاملين بالربّ لا تدعوا أمراً يُبعِدكم عنه لأن المسيح هو كل شيء. ومَن يدّعي أنه تلميذ المسيح ولا يتحلّى بالمحبة للجميع، لا ينتمي الى المسيح لأن المسيحيّ محبّ وينسحق محبةً من أجل المسيح. ومَن لا يعرف المحبة معذَب ومظلم القلب ومضطرب الى أن يجد الراحة في المسيح. لا يكفي ان يعلن انه لا يعبد إلهاً آخر بل عليه أن يثبت محبته للمسيح بمحبته للجميع وتجاوز أناه لأن الممتلىء من أناه يقع في الخطيئة الكبرى التي وقع فيها آدم وكانت سبب سقوطه، أعني الكبرياء. المتكبّر، أي الكبير بنفسه، قلبه ممتلىء أنانية أي حبًّا لذاته لذلك لا يجد فيه الله مكاناً له. الله يدخل في

الاناء الفارغ، في القلب الذي أُفرغَ من كل شيء ليستقبل يسوع، ويسوع لطيف لا يدخل حيث لا يجد متّسعاً له. الأب بورفيريوس علّمنا أن مَن يعتبر نفسه لا شيء يصبح شيئاً في عينيّ الربّ، وبقدر ما نتّضع نرتفغ بالربّ. يقول القديس سلوانس معاصرنا أيضاً، ان الإنسان المؤمن يفرح حتى إذا أدخل رأسه في الجحيم لأنه يشعر دائماً بالقيامة.

وصيه واحدة ترك الرب لتلاميذه، وصية جديدة كما يقول يوحنا في رسالته: " أن نحب بعضنا بعضاً" (١ يو ٣: ٢٣). لقد صُلت من أجلنا ولم تفتر محبته لنا. وهو يريدنا على مثاله.

لِنَدَع الله يعمل فينا ولنثق ان الله وحده يعمل وان العلم ليس الا وسيلة لنقل كلمة الله. هناك لغة لا يعرفها إلا المؤمن هي لغة القلب، والله يسكن القلب. أسأل الأب بورفيريوس المتشفع بنا ان يجعلنا من محبّي الله لكي نحبّ بعضنا بعضاً كما أحبّنا يسوع. آمين.

+ تأمل

خلق الله الإنسان من غبار التربة، من الأرض، لكنه يحبّنا مثل أخصّ أولاده، وينتظرنا بتوق كبير. إن السيّد يحبّنا حباً عظيماً لدرجة تجسده لأجلنا، لقد سكب دمه لأجلنا وأعطانا كي نشربه، كما أعطانا جسده الطاهر، وهكذا صرنا أولاده جسداً من جسده ودماً من دمه.

وكما يشابه الأولاد أباهم مهما كان عمرهم، هكذا صرنا نحن مشابهين السيّد بإنسانّيته، والروح القدس يشهد لروحنا أننا سنكون معه الى الأبد.

المجد للرب الإله لأنه أعطانا ابنه الوحيد لأجل خلاصنا.

المجد للأبن الوحيد إذ قَبِل الولادة من الكليّة الطهارة العذراء مريم وتألمّ لأجل خلاصنا، وأعطانا جسده الكلي الطهارة ودمه لأجل الحياة الأبدية، وأرسال لنا الروح القدس على الأرض.

إن الروح القدس يكشف لنا أسرار الله ويفقّه النفس لكي تحب البشر بحب لا يوصف. والروح القدس يكلّل الجسد والنفس بالبهاء، لدرجة يصير معها الإنسان شبيهاً بالسيّد، فيحيا الى الأبد مع الرب في السماء ويعاين مجده. وفي الحياة الخالدة، يصير كل البشر مشابهين للسيّد. ولن يعرف أحد هذا السر إن لم يكشفه له الروح القدس. إن السيّد متهلل يشعّ بنوره،وسيصير البشر مثله مشعّين، هكذا قال السيّد بذاته: ويسطع الأبرار كالشمس ، والرسول يوحنّا اللاهوتي قال: سنصير مشابهين له.

إني ارثي للبشر الذين لا يعرفون الله ولا يعرفون صلاحه لحد الدمع. لكن السيّد ظهر لنا بالروح القدس، ونحن نحيا بنور وصاياه المقدّسة.

ما هذا العجب؟ إن النعمة أعطتني الفهم التالي : كل البشر الذين يحبوّن الله ويحفظون وصاياه، هم مملؤون من النور ومشابهون للسيّد. أما الذين يناهضون الله، فهؤلاء يكونون ممتلئين ظلمة ويكونون مشابهين للعدو. وهذا طبيعي جداً. فالسيّد نور وهو ينير عبيده، اما الذين يخدمون العدو فقد تقبّلوا منه الظلمات.

أني أعرف طفلاً كانت هيئته كالملائكة. كان وديعاً، متواضعاً، منتبهاً، عذباً، وكانت طلّته متميّزة بخدود ورديّة، وعيناه الزرقاوان مشعّتان طِيبةً وسلاماً. لكنه إذ كبر، بدأ بالعيش بطريقة غير نقيّة وخسر النعمة الإلهة، وعندما وصل الى الثلاثين ، صار يشبه بالوقت عينه الإنسان والشيطان، صار مثل الحيوان البرّي وقطاع الطرق، وصارت هيأته بمجملها كريهة مخيفة.

كما أني أعرف صبيّة جملة جداً، كان محيّاها مشعاً وحلواً لدرجة حسد الكثيرون جمالها. لكنهم الخطيئة أفقدتها النعمة ولم يعد مستطاعاً النظر إليها.

ولقد تعرّفت على الضدّ أيضاً: عرفت رجالاً صاروا رهباناً بوجوه مشوّهة بالخطيئة والشهوات، لكنهم بالتوبة وبحياة الصلاة تحوّلوا وصاروا بشراً يفرح القلب بالنظر إليهم.

إن السيّد قد أهلني أيضاً لأن أعاين في دير روسي قديم في جبل آثوس اسمه " روسيكون القديم " وذلك قبل بناء دير القديس بندلايمون، وكانت الطريقة فيه متقشّفة ومتشدّدة جداً في النسك، لحظة الاعتراف، رأيت الأب الرئيس المعرّف، متجلّياً على هيئة المسيح. كان واقفاً في المكان الذي يتم فيه تقبّل الاعتراف ، وكان مشعاً بطريقة لا توصف. ورغم شعره الكليّ البياض بسبب سنّه، كان وجهه جميلاً كما لشاب صغير. ولقد شهدت الشيء عينه بالنسبة لأسقف أثناء القداس الإلهي، كما رأيت الأب يوحنّا كرونشتادت هكذا أيضاً: طلعته كانت كما لإنسان أضفت على ميّاه بهاء مشابهاً لملاك، وكان يحلو النظر إليه.

هكذا فإن الخطيئة تشوّه الإنسان، بينما النعمة تجمّله.

القديس سلوان الآثوسي